

ونسور أحداثها، ودلالات رموزها على الكامن المتوارى في أعماق الشعب
ولسنا على وجه اليقين نستطيع أن نجد من عثمان جلال أزدراء لفنون الشعبية
والتراث الروائي العربي؛ يكاد بمكوناته النفسية ومن خلاله عطائه، وروحه التي
تجلى في مترجماته وبقينا تكون أكثر تجليا في إبداعاته .. يكاد يكون فنانا
شعبيا، يغترف زاده من المعين العشي، ويستلهم تلك الروح المصرية من صميم
الأحياء الشعبية، بل ينغمس أحيانا في لغتها، ومعجمها الخاص، ويستعذب أن
يورد العبارات الشعبية بما تدخره من مشاعر، وما تكثفه من أحاسيس .. ولعل
ذلك يتضح في كل أعماله، وتشير إليه تلك المنظومة القصيرة لاتي عبر فيها
عما وصلت إليه نفسيته مشاعر اليأس والإحباط، مغلفة بالسخرية، والتهكم
والمرارة عندما أرسل نسخة من كتابه «العيون اليواقظ» إلى الخديوي آملا أن
ينال بعض رضائه السامي، فما كان من صاحب السُّدَّة العلية إلا أن قابلهما بازدراء
واضح، ورمى الكتاب في وجه حامله .. وكان الشاعر قد أنفق كل مدخراته
على إنتاج هذه الطبعة الأولى من كتابه. ولم يبق إلا الإفلاس .. قال «فبت
حمارى، وبقية ما أملك وقد ركبني الهم والغم، فقلت:

راجي المحال عيـط وآخر الزمـير طـيـط
والناس فائـثان بخت مـرـوج وقليـط
والعلم من غير حـظ لاشك .. جهـل بـسيـط

نخلص من كل ما سبق إلى أن كتاب «العيون اليواقظ» ليس «ترجمة» حاصلة
دقيقة لحكايات لافونتين، ولهذا صح ما قاله عنه أستاذنا د. محمد غنيمي هلال:
«ولكن ترجمته حرة لاتتقيد بالأصل، يمسر فيها أماكن الحكاية، أو يجعلها
تجرى في بلد عربي، ويضفي على خصائصها طابعا دينيا يقتبسه من القرآن أو
الحديث، وفيها قليل من الحكايات على صورة زجل».

هذا هو جهد عثمان جلال .. أراد أن يُعَرِّبَ وأن يُمَصِّرَ وأن يُدْخِلَ الروح
الشعبية على حكايات لافونتين، وأن تضاف إلى آدابنا تلك الذخيرة الحية ..
لكن الأيام ضنت على أعماله بالشهرة التي منحها لحكايات شوقي، الذي كان
«أعظم من برع في هذه الحكايات في أدبنا الحديث» حتى لقد «جارى في فنه
لافونتين، وبلغ بهذا الجنس ما قدر له من كمال حتى اليوم» . وحتى اليوم